أنشدك الله ايتها البحيرة الجميلة ، ان ترددى ، سواء كان يسكون مياهك وهدوئها ، او باصطخاب امواجك وثورانها ، او بمنظر سواحلك النضرة الضاحكة ، او بأشجار الصنوبر السوداء التى على حوافيك ، او بصخورك الموحشة المعلقة فوق مياهك :

ردى ، سواء كان بنسيمك المضطرب السارى ، او بدوى صفتك المنتقل من شاطيء الى آخر ، او بالكوكب ذى الجبهة الفضية الذى ينير صفحاتك ، بضيائه البيضاء الساحرة :

ردى ، سواء أكان برياحك الباكية المنتحبة ، أم بزفرات اعشابك وورودك ، او بعبيرك المعطر فضاءك ، اوبكل ماتسمعه الاذن ، وتراه العين ، ويستنشقه الفم ، ردى بكل مافيك من حس وشعور ، وحسن وجمال ، وروعة وبهاء ، ردى هذه الكلمة التى هي زفرة القلب الدامى ، ونحيب الروح الحائر :

لقد تحابا ، ولكن لم يمهلهما الزمن .

جورجى نيقولاوس

القصيدة

كان عام ١٨١٧ وكان الربيع يملأ بانفاسه العبقة وادى السفوا حيث تشرف مدينة اكس من شرف تيهه الساحر على شواطىء بورجيه تلك البحيرة الوادعة المتدفقة فى منعرج شعابه .

وكان لامرتين أحد أولئك الذين قصدوا تلك الأودية والشطآن حيث نزهة أحلام الشباب ومسبح الشعر والخيال !

وكان فى الغرفة المجاورة لغرفته فى المنزل الذى سكن اليه فتاة بارعة الجمال تدعى (جولى) لمح لامرتين على وضاءة صفحتيها لفحا من أحزان القلب وهمومه .

وكان الحياء يدفع بشاعرنا عن ناحية الفتاة ويدفع بها عن ناحيته ، فليس إلا تحية نبيلة يبدأ بها أحدها الآخر كل صباح ومساء !!

ففى ليلة بينا سكنت الاصداء فى جوفها ، وقرت على الضفاف أمواج البحيرة ساهمة

ساهية ،فايس الاهينمة الرياح البحرية فى رفيفها على الاشجار و صوت المجداف يضرب به لامرتين أديم العباب فى زورق يرتاد به حفاف الشواطىء وقد خلع عليها الربيع سابغ الافواف ، اذ بصدى صرخة متهدجة يحملها اليه الهواء ، فانتبه من أخذته يقتاف فى مسارب اليم مصدر ذلك الصوت واذا به حيال زورق صغير يحمل فتاته جولى وقد تخلل الماء ماحوها فاحتملها لامرتين الى زورقه وتنقل بها من صخرة الى صخرة حيث أقرب سكن من الشاطىء ،وهناك انتهت الفتاة من غشيتها فالفت نفسها بين يدى ذلك الغريب الشاب الذى كانت تحلم به و يحلم بها

و مرت عليهما ليلات رخية اختلساها بين الضفاف والامواج ! !

ولم تكن فتاتنا بالعذراء فقد كانت على حداثة عهدها بالشباب زوجة شيخ من علماء باريس القى بها القدر فى حماه طفلة وغادرها حليلة له — بيدأن روحها الشابة لم تجد فى تلك الحياة عزاء و تخونها السقم فهبطت تلك الأودية للاستشفاء بعدان أحدثت الآلام فى قلبها شدخا عميقا لم يزل حتى استأصل شأفة ذلك الاناء ، وهكذا أخذ ماء الحياة يتسرب منه كما أخذت زهرة الشباب تذبل أوراقها . ولكن جولى أصابت من هوى لامرتين حياة جديدة من أشعة وحرارة .

وانقضى موسم العام وحان موعد الرحيل فصحبها لامرتين فى سفرتها الى باريس، و هى بين الصحة والسقم ، و افترقا فى العاصمة بعد أن ضربا موعدا للقاء فوق الصخرة فى مثل عهدهما هذا من الحول القادم !!

ودارت السنة دورتها و يمم لامرتين شطر البحيرة يفتقد آثار جولى واذا به يتلقى نبأ وفاتها قبل اللقاء بثلاثة أشهر حيث قضت شهيدة حمى خبيثة أذوت عود شبابها فسقطت أوراقه قبل أن تسقط أوراق الخريف .

وهناك على الصخرة التى ضرباها موعدا للقاء ، على الصخرة التى حملتهما مباركين فى ظل الحب الاول ، قضى لامرتين ليلة وهو يناجى البحيرة وأمواجها والطبيعة وآثارها بهذه الكلمة الشاكية والقصيدة الباكية !!!!

ليت شعرى أهكذا نحن نمضى ... فى عباب الى شواطىء غمض
ونخوض اللجى فى جنح ليل ... أبدى يضنى النفوس وينضى
وضفاف الحياة ترمقها العيـ ... ـن فبعض يمر فى أثر بعض

دون أن نملك الرجوع الى ما فات منها ولا الرسو بأرض ! ؟

***

حدثى القلب يابحيرة مالى لاأرى أولفير (١) فوق ضفافك
أوشك العام أن يمر وهذا موعد للقاء فى مصطافك
صخرة العهد ويك هانذا عد ت فماذا لديك عن أضيافك
عدت وحدى أرعى الضفاف بعين سفكت دمعها الليالى السوافك

***

كنت بالأمس تهدرين كما أن ت هديراً يهز قلب السكون
وحفاف أمواجها يتداء بين على هذه الصخور الجون
والنسيم العليل يحمل وهنا زبد الموج للربى والحزون
ملقيا رغوها على قدميها لين المس مستحب الانين

***

أترى تذكرين ليلة كنا منك فوق الامواج بين الضفاف
وسرى زورق بنا يتهادى تحت جنح الدجى وستر العفاف !؟
فى سكون فليس نسمع فوق الما وج الا أغانى المجداف
تتلاقى على الربا والحوافى بأناشيد موجك العزاف ؟ ؟

***

وعلى حين غرة رن صوت لم يعود سماعه أنسى
هبط الشاطىء الاخيذ فايس مع فيه للكائنات دوى
واذا بالليل ساهم سكن النـ ـوء اليه وأنصت اللجى
يتلقى عن نبأة الصوت نجوى كلمات ألقى بهن نجى

***

يازمانا يمر كالطير مهلا طائر أنت ؟ ويك قف طيرانك !

---

(١) أولفير الاسم الشعرى لجولى

أهناء الساعات تجرى و تعدو نا عطاشا فقف بنا جريانك !
ويك دعنا نمرح بأجل أيا م ونلقى من بعدخوف أمانك
واذا نحن لذة العيش ذقنا ها ومرت بنا فدر دورانك !

* * *

بيد ان الشقاء قد غمر الار ض وفاض الوجود بالتاعسينا
كلهم ضارع اليك يرجيك فاسرع !!أسرع !! الى الضارعينا
وافترس مشقيات ايامهم واه ض رحى بطحن الشقاء طحونا
رحمة!؟ فاذكر النفوس الحزانى !! وانس يادهر أنفس الناعمينا !!

***

عبثا أنشد البقاء لعهد يفلت اليوم من يدى ويفر
وسويعات غبطة ما اراها ووشيكا ما تنقضى وتمر
وأنادى ياليلة الوصل قرى إن بعد السرى يطيب المقر
أسفا للصبا وغر ليال ليس يبقي على صباهن فخر

***

فلنحب الغداة ولنحى حبا ولنكن فى الحياة بعضا لبعض
ولنسارع فنقتفى إثر ساعا ت فقد تؤذن النوى بالتقضى
انا فى الحياة فى عرض بحر ليس نلقى المرساة فيه بأرض
مابه مرفأ يبين ولكن نحن نمضى من بينه وهو يمضى ؟!

***

أكذا أنت أيها الزمن الحا قد تغتال نشوة اللحظات ؟
حيث يزجى لنا السعادة أموا جا من الحب زاخر اللجات ؟
أكذا أنت ذاهب بليالى الصـ ـفو عنا سريعة الخطوات ؟
أكذا تنقضى ملاوة نعما ها كما ينقضى شقاء الحياة ؟؟

***

كيف حدث : أنالها منك صرف فى أيد الزمان حيث طواها ؟

ويك قل لى أليس نملك يوما أن نراها أما تبين خطاها ؟
أتراها ولت جميعا ولما تبق حتى آثارها ــ أتراها ؟
أو ذاك الدهر الذى افتن فى صو غ صباها هو الذى قد محاها ؟

٥٥٥

أى أيد الزمان والعدم العـ ـاتى غريقين فى سكون وصمت ؟
أى عميق اللجات ماذا بأيـ ـام صبانا ، ماذا بهن صنعت ؟
حدثينى أما تعيدين ما من سكرات الغرام منا اختطفت ؟
او ما تطلقينها من دياجيـ ـك ؟ أما تبعثينها بعد موت ؟

٥٥٥

أنت ياهذه البحيرة ماذا يكتم اللج فيك والشطآن
أيها الغابة الظليلة ردى انت يامن أبقى عليها الزمان
وهو يستطيع أن يجدك حسناً !! احفظى ! لا اصابك النسيان ! !
قل حفظا أن تذكرى ليلة مـ ـوت وانت الطبيعة الحسان

٥٥٥

ليكن فى هدوء موجك هذا وليكن فى هدره واصطخابك
فى جمالك دائماً تتراءى ضاحكات على سفوح هضابك !

الشفق الباكى

للدكتور أبى شادى

شعر ، ونقد ، وأدب عام

يطلب من المطبعة السلفية بالقاهرة ومن المكاتب الشهيرة